

# دنيا

قصة طويلة - الجزء الثاني

زكريا الشافعي

دنيا

"كيف هذا الحب امسى خيرا وحديثا من احاديث الهوى"

ياسلام ياست . وكأنه يسمعها لأول مرة حين تناهت الى سمعه وهو يحدث صاحب المقهى المغربى فى فرنسا . نعم كيف ذاك الحب امسى خيرا . لقد ظل طوال هذه السنوات قلبه فى مصر وجسده فى ايطاليا . لامتثل له كريستينا الا شريكا ودارا فى هذا البلد الذى اسلم نفسه الى عاداته وتقاليده ففقد هويته . ان الايام التى يسافر فيها الى مصر فى عمل خاطف او اتفاقية سريعة يمكث فيها بضعة ايام تعيده الى نفسه تضمد بعض جراحاته ، تغسل اوجاعه ومرارة الفقد والحرمان ورحلة الشقاء التى اودت به الى طريق المال الذى اصبح ينساب بين يديه كالماء وتصنعه يده وعقلة فى كل يوم بل فى كل دقيقة . اصبحت افكاره و ساعات يقظته ونومه مالا .. سفره وترحاله ومعارفه واتصالاته وشراكاته المختلفة فى مصر وفى غيرها من دول الاتحاد الاوروبى اصبحت مالا وفيرا ورصيذا ضخما فى عدة بنوك . اصبحت لديه وكلاء ومستشارين فى بضعة نشاطات تجارية . يعملون على الحفاظ على زيادة هذه الثروة عن طريق زيادة المبيعات واقتناص الفرص ف الاستثمار الناجح فى اى مكان ... يعدون له دراسات الجدوى والحسابات ويقدمون نصح الخبير ... فسارت اعماله فى هذا المناخ المواتى الذى تتيحه تجارة وقوانين هذه الدول الاوروييه.. لقد قفزت نشاطات شركته للشحن الى معدل مبيعات واستثمارات لايمكن تخيلها ... كانت السيارات على راس مايقوم بتصديره الى بلدان الشرق الاوسط وليبيا وتونس . لقد فتحت له تجارته مع تلك البلدان معرفة وصدقة كانت له صداقات مع بعض كبار المسؤولين فيها . استقبلته بعض الدول فى المطار من صالة كبار الزوار ! وعاملته بعض اشهر الفنادق العالمية على الضيف ال VIP المصرى الايطالى الملياردير العالمى الذى هاجر سرا الى ايطاليا وتسلسل اليها منذ خمسة وعشرين عاما هو الان هذا العملاق الذى تخطب الحكومات وده . وتتمنى استثماراته وشركاته على اراضيها هو هذا العملاق الذى مازال فى قلبه نبضة تخالف كل مافيه وكل الواقع الذى يجثم على حاضرة وبقية بكل شىء فيه ...

كان لقاء حفل افتتاح معرض مبيعات القرية السياحية فى الساحل الشمالى فى مصر مناسبة نادرة الحدوث لانها جمعت بها كان هناك هذا الشخص الذى عرف انه سعيد البحرى عضو مجلس الشعب الرجل الذى لايفارقه حارساه الشخصيين لايدرى لماذا حتى فى ذلك المكان المغلق . يسمونه الملك ولايدرى ايضا لماذا...! . لم يرتح له . ولا لنظرات شعبان الحاوى لدنيا . لمج فى عينيه هذه النظرة . --- - "ياالله كم انت جميلة كما عهدتك " قالها بقلبة حين راحت عيناه تختلس النظرة تلو الاخرى اليها

. حين امتدت الايادى للمصافحة ضاعت الكلمات "،انكر كل خل خله " كم كانت كلمات الاغنية والقصيدة معبرة "حينها انكر كل خل خله .. وتلاقينا لقاء الغرباء .....

: لم ينم ليلتها وقضت هى ايضا ليلتها على الفوتيل فى الصالة امام شاشة التلفاز الضخمة .  
استلقت كالطفل على الكرسي المريح وتكورت حين احضرت لها الخادمة لحافا دافئا غطت  
وجھها وراحت فى نوبة بكاء صامت !

-----

حين تعطلت احدى شحنات الاخشاب والبضائع التى تأتية من الخارج . استاجر البحيرى سفينة  
شحن استطاع فى فترة وجيزة ان يستأثر بنصيب كبير فى ملكيتها بعد ان سدد ديونا عليها عقب  
اصلاحها وعمل عمرة لها فى احدى الموانى فى سنغافورة ثم ليحولها فى خلال عام واحد  
الى عبارة تحمل المسافرين عبر البحر بعد عمل التعديلات اللازمة عليها ومن الطبيعى ان  
يحصل على الموافقات وشهادات الصلاحية بما كان له من منصب ومعارف وصلات هنا وهناك.  
حضر حفل تدشين العبارة جمع لابأس به من المسؤولين وشركاء البحيرى . كان الرجل قد  
اسس الشركة وملكية العبارة باسم زوجته الجديدة التى لم تكن تظهر معه علانية حتى هذا  
اليوم . حضرت "الفت السكرى " سليلة السكرى باشا الذى كان احد رجالات المال والاعمال  
قبل الثورة وايام الملكية وضعت قوانين الثورة يدها على كل ممتلكات الرجل من شركات  
واموال .. قانون التأميم الذى كان كارثة على بعض اولئك الذين بنوا ثروتهم واعماله  
بجهدهم.. مات جدھا فى مصنعه وهو يديره من تلك الغرفة الصغيرة التى امر بها ذلك الرقيب  
الذى عينته الثورة مديرا للمصنع و .... لقد مات كمدا وقهرا ...  
. حضرت فى اناقة تامة كاحدى سيدات القصور الملكية مرتدية البالطو الغيرير من دار الازياء  
الشهيرة فى باريس كانها احدى اميرات زمن ولى !

فى هذا اليوم من ايام فبراير لسعة برد تلفح الوجوه التى كان من بينها مدير الامن اللواء  
طارق الذى حضر رفقة سيارة المحافظ فلم يكن حدث كهذا ليفوته . حدث يحضره هذا  
العدد من المسؤولين الذين كان بعضهم وزراء . برقت الكاميرات عندما توقفت سيارة المحافظ  
كانت سيارة سوداء مرسيديس وكانت سيارة البحيرى وزوجته قد سبقت الموكب بقليل ليكون  
فى استقبال المحافظ والوزراء الذين ضمهم الموكب . وعندما تصافحت الايادى مهنته لم يكن  
الحاج سعيد البحيرى عضو مجلس الشعب وديناصور الميناء وملياردير الاسكندرية قد التقى  
بمدير امن المحافظة من قبل .  
لذلك اشار اليه المحافظ ليعرفه بطارق بك مدير امن المحافظة الجديد الذى كان يرتدى زية  
الرسمى

\_ اهلا ياباشا ... اهلا طارق باشا . منور اسكندرية

كان صوتا اجشا مميزا نفذ الى مسامع اللواء طارق ... بدا الصوت كأنما مر على سمعه من قبل  
... انه صوت لايشبهه اى صوت اخر

-----

كان الدكتور خليل قد فاجأته الغيبوبة للمرة الثانية وطالت عما قبلها مما استدعى نقله هذه المره الى المستشفى اسرعت سيارة الاسعاف بنقله الى المستشفى الملكى الخاص تحت عناية مكثفة ووقف عدة اطباء يباشرون افاقته وعلاجه . لكن الرجل كان قد انهكه الرقاد والمرض . رقاد طويل وحركة تكتنفها كل الصعاب على كرسى متحرك . كان يبقى فى حجرته احيانا اياما كاملة . وكان كثيرا ما يظل صامتا وهو يشاهد تلفاز حجره نومه لا يحرك ساكنا كاته لا يسمع ولا يشاهد. زاد عدد الخدم فى البيت اثنين احدهما امراة كبيرة كانت لاتعرف عنها الا ان اسمها "ام جابر" كان امراة نشيطة قوية رغم انها تجاوزت الخمسين لتعين الخادمة الفليبية التى زادت عليها اعباء المنزل الكبير ثم احضرت المرأة فتاة صغيرة فقيرة من قرية فى اعماق الريف .كانت ام جابر امراة ثرثارة كثيرة الكلام . تكلم نفسها ان لم تجد من تكلمه . كان شجارها مع الفتاة الصغيرة لا ينقطع وجدالها مع الفليبية لا يخلو منه يوم . لكن الحسنة فى هذا كانت انها اضافت حياة . صوت انفاس لهذا البيت الصامت الغارق فى السكون .

وفى المرات القليلة التى كان الدكتور خليل يفيق فيها كان ينادى على ابنه الذى غادرهم الى بلاد الثلج البعيدة الى كندا . مر اسبوع ،سبع ايام طوال بلياليها ونهاراتها . حتى استطاعت دنيا ان تدبر امر التواصل مع ابنها لترسل له مبلغا كبيرا من المال ليكون على اقرب طائرة تعبر المحيط لتصل الى مصر باى شكل .

هبطت الطائرة فى مطار القاهرة .. وحملته السيارة الليموزين الى الاسكندرية ... لكنه لم يكن بمفرده .. كان معه زوجته ايلينا الامريكية اليهودية !

قضى ليلة الاولى مع ابيه فى المستشفى مرافقا له فى حجره الى جوار الحجره الملكية التى خصصت لرعايته . وقد اتصلت بجسد الرجل الذى صار نحىلا عدة خراطيم ونهايات اسلاك تومض على شاشات با اشارات واصوات منتظمة بجوار سريره .

فى الصباح الباكر كان قد غادر المستشفى واصطحب زوجته ايلينا فى رحلة الى احياء الاسكندرية ! لكم تغير كل شى فيه منذ اخر مرة كان فيها فى مصر

كانت دنيا متعبة مثقلة بكل هموم الدنيا تحس بانها تصارع الدنيا وحيدة تنظر الى الرجال فلا ترى الا حيا قد تخلى او زوجا لم يعد موجودا فى حياتها لتركن اليه ولا ابنا يعينها تستند عليه ...مغمضة العينين تدور فى ساقية لاتنتهى من اشغال واعمال لاتثق فى احد ولا تعتمد على احد .. تخشى وتفكر الف مرة فى كل خطوة تخطوها .. تنام ولا تنام ... لعنت فى سرها كل شىء وكل رجل على ظهر هذه البسيطة . اوجعها ابنها الذى لم تفرح به فرحة الام حين ترى وليدها وفلذة كبدها ووحيدها فى الدنيا وقد صار عريسا تجلس بجواره عروس كالبدر فى ثوب الفرح الابيض . تمنى هذا اليوم وحلمت به كثيرا . لكنه اليوم مع تلك الاجنبية التى هدمت هذا الحلم . تسللت الى حجرتهم حين عرفت انهم غادروا صباحا وفتشت اوراقها واسقطت فى يدها

كادت تصرخ من هول الصدمة حين عرفت انها يهودية وانها زارت اسرائيل من قبل . يهودية ...  
رات صورة لها فى اليوم صور عند حائط المبكى !  
صرخت فى ام جابر \_ اعملى لى زفت قهوة .

لم تكذ المرأة تفتح فمها لتقول شيئا لم تكمله حتى انفجرت فيها بصوت عال بدد هذا الصمت  
فى هداة الصبح

-اسمعى الكلام محدش يقولى صحتك وزفت .. ملكوش دعوة بصحتى .. هو حد حاسس بيا .  
انسحبت المرأة سريعا الى المطبخ وقد ادركت بحدسها ان امرا ما قد حدث خاصة بعد ان راتها  
خارجة من حجرة ولدها وزوجته ....

-فى احدى زياراتها لزوجها فى المستشفى وقد راحت تتمشى فى هدوء الى الكافيتريا  
الصغيرة فى الدور الاسفل جلست امراة كبيرة فى السن كانت هى مالكة الثلاث محلات فى  
اسفل عمارة كليوبترا . كانت دنيا قد قابلتها مرات قليلة من قبل فلم تكن المرأة تحضر الى  
المكان كثيرا بعد ان اشترته كانت دنيا قد لمحتها من بعيد مرة او مرتين من خلف الزجاج الذى  
يشغل كل واجهة صالة معرض السيارات هذا . كانت امراة بدينة لاتفارق وجهها نظارة معتمة  
. ودسته اساور ذهبية فى احدى يديها . حين اشترت المحلات عرفت انها زوجة رجل تاجر كبير  
لكنها فى الواقع لم تهتم كثيرا حينها . كانت المرأة قد خلعت نظارتها للتو وراحت تنظر الى  
عدساتها فى ضوء شعاع الضوء الساقط من النافذة . كان فى احدى عينيها حول ونقطة بيضاء  
...

وبالله ! لقد عرفتها دنيا على الفور فلم تكن الا سعاد العمشة حتى وان كبر سنها وتغيرت بعض  
ملامحها ... ادارت وجهها بسرعة واخذت قهوتها وابتعدت ..

فى اليوم التالى كانت قد عرفت اكثر حين سألت احدى الممرضات ودست فى جيبيها رزمة من  
الاوراق الكبيرة . وراحت فى دهشة ترشف فنجانها الكابتشينو الساخن والى سؤال يتقافز امام  
عينيها كاشباح تتسلق حائطا تتقافز عليه وتهبط منه ...

نظرت الى زوجها عبر زجاج النافذة فى غرفة العناية المركزة وهو يرقد فى هدوء فلم تكذ  
ترى وجهه من ذلك الانبوب على انفه والاخر فى طرف فمه ومر شريط الذكريات امام عينيها  
فى ثوان . كثيرة تلك المشاهد التى عادت بها سنوات الى الوراء وجوه كثيرة كانت تبدو كخيالات  
باهتة الالوان خافتة تتسارع كانها شريط سينمائى .....  
- شعرت بالبرد يجتاح كل كيانها

\*\*\*\*\*

كان اجتماع قيادات الامن فى قاعة الاجتماعات بمديرية امن الاسكندرية هذه المرة يشوبة  
القلق . حين وصل اللواء طارق ودخل القاعة بخطوة سريعة يتبعه اثنان من رجال الامن  
وقف الجميع وادوا التحية له ثم اشار للجميع بالجلوس . كان الصمت يخيم على الجميع قى اثر

عملية تفجير لاتوبيس فيه سياح قامت به جماعة سمت نفسها باسم انصار الحق لايعرف احد عنها شيئا . لكن رسالة تركت فى مكان الهجوم على الاتوبيس اعلنت عن تهديد بعمليات اخرى ..ومشاجرة كبيرة فى احد احياء العاصمة استخدم فيها السلاح ادت الى مصرع اربعة اشخاص واصابة عدد كبير من الناس ...

اجتماع استمر لنصف ساعة فقط قطعه اتصال من محافظ المدينة شدد فيه على خطورة الامر وسرعة العمل على ضبط الجناة ثم الاوامر المشددة من اعلى بسرعة العمل لاحتواء هذا الامر الخطير الذى يهدد سلامة الوطن وامن ضيوف مصر ومستقبل صناعة السياحة التى يعمل بها الالاف ..

ثم اكد المحافظ بكلمات حرص ان تكون واضحة بان كل الامكانيات والصلاحيات ممنوحة لهم

....

انتشر مئات المخبرين وعشرات المرشدين واقيمت الحواجز المرورية اثناء النهار وطوال الليل داخل المدينة وعلى مخارجها ومدخلها وتوقفت عربات مليئة بجنود عند ساحات وميادين المدينة من قوات الامن المركزى ووقف كثير من الشباب الذين اطلقوا لحاهم .وعلى بعض عدد ممن كانوا من قبل تحت المراقبة ومن طالتهم تقارير الامن هنا وهناك . واخذ البعض اشتباها لانه يحمل كتابا . واخذ البعض هكذا دونما سبب . وكتبت تقارير المتابعة عن كل تحرك للسائحين من اى جنسية .. وهكذا بين عشية وضحاها خيم على المدينة جو توتر وقلق كان المهندس عادل عائدا من عمله فى ذلك اليوم فى ساعة متأخرة حين مر بكمين فى منتصف طريق ابي قير الرئيسى وحين استوقفه الكمين اسقط فى يده فلم يكن يحمل محفظة جيبية كعادته . كانت نظرات الضابط مصوبة الى لحيته التى بدت كثيفة . كان فى سيارة احد المهندسين الشباب الجدد الذين يعملون معه يوصله فى طريقة . لم تغلح محاولاته ولامحاولات زميلة فى اقناع الضابط بانه مهندس بل هو كبير مهندسى شركة " بناية اعمار" الشهيرة . وامام اصرار الضابط وتوتر الموقف لم يكن باليد حيله .. قضى المهندس عادل عبد التواب ليلته فى حجز قسم الرمل الذى كان مكتظا فى تلك الليلة الباردة من ليالى فبراير . فى الصباح اخرجته اتصال تليفونى بمأمور القسم ..

تألمت هى لهذا الموقف واحزنها ربما اكثر من المهندس عادل نفسه الذى مان عاد الى عمله حتى كأنما نسى كل شىء بل راح يتندر على مامر به .. لكن شىء ما استقر فى داخلها وشعور لاتدرى من اين تسلل اليها لاتدرى لعلها احست حينها بضعفه وقلة حيلته .. طبيته التى لاتدرى ان كانت شيئا جيدا او سيئا فى زمن يحكمه اناس وضعوها جانبا .. لاتدرى الان هل يمكنها ان تتركه يدير هذا العمل وذاك دون ان تتأكد انه يستطيع ان يكون ندا لمن ينافسونها فى السوق .ان يحذر الاعبيهم . وان يحذر حتى اولئك الذين يعملون معه . لقدعلمتها الايام الا تضع ثقتها المطلقة فى احد .. وهاهى اليوم تعيد النظر فى طريق سلكته منذ بضع شهور وقرار كانت قد مهدت الطريق له ..

يبقى الواقع سيذا وحكما يفرض كلمته .واقع قد تصنعة الايام والظروف لاحيلة لنا فيه وواقع تخيله وتوهمه فنجعله حقيقة نحيها تنتفسها ونقتات بها فتملكنا فتصبح الواقع الذى صنعناه بايدينا ...

لم تستطع دنيا ان تحتمل وجود اليهودية فى بيتها . صرخت فى وجه ابنها ذات يوم حين رآته مازال نائما ولم يذهب بعد الى ابيه فى المستشفى .. يقتلها بلامبالاته وبعدم اهتمامه ، بسكوته ، بهذه الحياة التى اختارها ..لا تحتمل رؤية هذه الغربية فى كل شىء فى مظهرها وفى لغتها وعاداتها وجرأتها . كانت تتلع غضبها ورغبتها فى طردهم جميعا من البيت لولا الواقع الذى يلوى ذراعها ويلجمها الجاما . سكتت على مضض . واحتملت وجود هذه الشقراء التى راحت تتنقل فى البيت بحرية فى ملابس نص عارية وبضع رسوم التاتو على اجزاء من ذراعها وكتفها . اغتاضت ولم تملك نفسها حين راتها تداعبة وتقبله امامها وامام ام جابر والفليبية وهم يتناولون العشاء . فاسمعت ابنها كلاما حادا شديدا وسبابا لم يسمعه من قبل عن "عاهرتة التى اتى بها من بارات كندا" . كان يعلم يقينا ان امه لا ولن تتقبلها . وعلمت الفتاة ايضا فهى ليست ساذجة حتى وان لم تكن تتكلم العربية فقد احست بانها غير مرحب بها ! لقد كانت هى ذاتها تلك الفتاة فى كندا التى كان يرسلها منذ ان كان فى مصر وكان ملء سمع امه وبصرها .. . كانت امه تحتال عليه ليكون معها فى اعمالها ، منته بالمنصب والمال والشهرة .. وكانت تتمناه لغد يحمل معها مسؤولية هذه الاعمال الضخمة التى تديرها .. لكنه خذلها ... لم يكن ابدا كأبيه مثابرا صلبا مسئولا ولا كامه عنيدا مغامرا طموحا ..ابدا لم يطاوعها .. كان لايطبق الجلوس الى مكتبه ولا هذا الجمع من مساعدية الذين لاتخلو ايديهم من اوراق .. كان يروغ منها كالتعلب . لاتجده حتى حين تكون فى امس الحاجة اليه . كان مايعينها على ان تظل واقفة على قدميها تدير كل هذا العمل وتحرك هذا المال هنا وهناك هو املها فى ان فلذة كبدها هذا سيقف الى جوارها يوما ما سيأتى حتما يوم لتراه وهو يشاركها العمل والنجاح . لكن هذا الامل طال انتظاره وبدا انه يبعد عنها كبعد المسافة بين مصر وكندا .كالفارق بين دفء مصر وجليد كندا . لقد خذلها كما خذلها كثيرون . خذلها ابوها الذى عاش حياته بالطول والعرض ياتيهم كل حين ومين فليقى اليهم بضع جنيهات ويرحل . خذلها الحبيب الذى رحل دون وداع و تركها لانه اختار حياة اخرى غير تلك التى يحيها .لقد فضل حلمه فى السفر عليها .لو احبها ماتركها ! تزوج الايطالية . اللعنة عليهن جميعا .واحدة اخذت ابنها والاخرى اخذت حبيبها . وخذلها هذا الراقد فى غيبوته الذى اقعده الكبر والمرض فقد تركها ومازال الطريق امامها طويلا والحمل ثقيل . واليوم يخذلها هذا الامل الى انتظرتة طويلا . يضع ابنها من بين يديها . لكن لا . لن يضع ولن تقف عاجزة هذه المرة .انها اليوم تملك مالم تكن تملكه بالامس . ستبقية ولن يرحل . وليكن مايكون واجرت اتصالا من مكتبها .



" تحياتى من الهيمالايا " طارت الرسالة بالايطالية من اعلى قمة فى العالم الى نابولى لتصل الى كريستينا فى صبيحة يوم من ايام ديسمبر الماطرة . كانت تتناول افطارها وحيدة بعد ان سكبت زجاجة حليب على شىء يشبه الخبز وراحت فى بطاء تتناول افطارها مع كوب النسكافيه . تركت الرسالة على المنضدة بعد ان قبلت الصورة التى حملت صورة باجيو وهو واقف يلوح بيديه من على قمة احدى القمم بدا فى معطفة الاحمر البقعة الوحيدة الملونة فى هذا البياض الطاغى من الجليد . كان قد ذهب قبلها لتسلق جبال الالب . فقد اصبح يعمل مصورا للطبيعة يجوب البرارى والاصقاع البعيدة يمكث شهرا احيانا قابعا فى غابة يلتقط صوراً للحياة البرية . يصور افلاما وثائقية عن الطبيعة . يعشق هذا العمل . يعشق المغامرة ورث عن ابيه جرأة السفر وحب الترحال . افادته ايطالية وعربية وانجليزية وهذا الخليط الرائع من الرجل الابيض المتوسط . فهو عربى ايطالى شرقى وغربى حلو اللسان له قبول وحضور . لم يعد يمكث فى البيت .

سيتوجة من التبت الى افغانستان بطائرة ليصور وثائقية عن احدى اكثر القرى انعزالا فى اعلى الجبال . سيصل الى ارض لم تطأها قدم رجل من اوروا . سينقل الصور لاوروبا عن اناس استغنوا عن المدنية . سيصور اناسا لم يسمعو يوما عن الكهرباء ولاالسيارة .. سيوثق حياة سكان ممر "واخان " قبائل مازالت تحيا على الرعى فى طبيعة جبلية قاسية . لم يكن قد انتهى من تصوير ماخططوا له حتى احاطت بهم جماعة مسلحة واقتادتهم خارج القرية فى رحلة طويلة شاقة ليقى ثلاثهم رهن الاعتقال لدى احد اباطرة الحرب الافغان ... لقد اصبح مثلهم معزولا عن العالم لايعرف احد عنه شيئا ... لقد استولوا على معداتهم وكاميراتهم وكل متعلقاتهم . تركوهم يتنقلون فى هذه الدار المبنية من الطين وحجارة الجبل بحرية . لقد كانوا على ثقة انهم لن يهربوا وبالطبع يعرفون انهم لن يذهبوا الى مكان فقط كانوا يتبعونهم باعينهم وبنادقهم ... كانت كل الافكار السوداء تتواثب الى رؤوسهم كان القلق والخوف يجعل النوم مستحيلا . كان باجيو ياخذ المبادأة دوما ليحدث الحراس باللغة العربية التى هى اقرب ما يكون الى الافغانية كان حوارا عجبيا لايتهى احيانا بشىء .. حتى كان ذا اليوم الذى اتى فيه رجل يتحدث العربية فدار حديث طويل بينهما .....

..

لم تكن دنيا تتوقع ان ياتيها مثل هذا العرض .... حلم العالمية يبدأ بخطوة كهذه .. كانت شركة الانشاء التى تديرها قد انتهت لتوها بناء محطتين للكهرباء من مناقصة حصلت عليها الشركة من

احدى الوزارات فى مصر ... لقد انجز فريق المهندس عادل عبد الدايم وفريقه عملا فريدا فى تصميمة وموعد انجازه .

بعد بضعة اسابيع زارها وزير من احدى الدول الافريقية وطلب بناء عدة محطات كهذه فى بلده !!

لقد كان قبول ذلك تحديا صعبا وخطوة جريئة وقرارا يحتاج الى تفكير عميق ...! ثم جئتها مكالمة من القاهرة .... كان صوتا واثقا اليغا يفصل حروف الكلمات تفصيلا حياها بادب جم ولغة راقية وراح بعد ان عرفها باسمه وصفته فى عبارات من تلك التى تسمعها فى نشرات الاخبار وعلى اغلفة وعناوين الصحف عباران رصينه عن " اهمية التعاون ... دعم العلاقات التاريخية بين البلدين .... التنمية فى .... فرص الاستثمار القادمة .... ومن مصلحتنا ان نقبل .. ونحن ندعم .... وسنكون عوننا وسندا و ..... "

لقد نسيت فى حومة التفكير فى الامر ان تفرح للخبر الذى ابليتها احد معاونيها "لقد هرب السعداوى خارج مصر .. " بعدما افلس وحجز البنك على ارصدة وعقاراته " كان ينافسها ولطالما كان بينهما صراع تعارض مصالح كان رجلا ماكرا داهية استطاع عدة مرات ان يكبدها خسارة موجعة فقد كان يستورد ماتستورده وكان يستأثر بالسوق بطرق ملتوية . لكنها كانت اكثر حذرا بعد ذلك فكالت له الصاع صاعين هذه المرة وخططت له وتم ... كان تعطيل شحنة فى الميناء امر دبر وتم بنجاح ... وكان تفتيش صلاحية المواد الغذائية قد جاء قراره كالصاعقة على راس الرجل... فصودرت احد اكبرها واكثرها قيمة ... ثم كانت قروضه من البنوك التى اودت به ....

وقفت عند مدخل الشركة تودع هذا الفريق الذى يرأسه المهندس عادل عبد الدايم المسافر الى كينيا فى رحلة تستمر اسبوعا لوضع الخطط على الطبيعة ورفع القياسات ... راته وهو ينزل مسرعا من سيارة ابنه الصغيرة ويهرول الى باب الشركة حيث تجمع الاخرون ... لم يكن يحمل سوى تلك الشنطة الصغيرة وكيس بلاستيكى .... سلمت على الجميع يدا بيد ... ووقفت امامه فلم تجد تلك الكلمات التى قالتها للجميع ...

ضرب الارهاب ضربته الثانية فى قلب المدينة الوداعة المستلقية على ساحل المتوسط .. مدينة الشعراء والحالمين والعاشقين ....

اندفع المثلثين الى داخل فندق سيسل وقد اشهبوا اسلحتهم وفى سرعة خاطفة كانوا قد وصلوا الى قاعة المقامرات والرهانات فيها فعاثوا فيها تكسيرا وتحطيميا ثم استولوا على مبلغ ضخم كان قد تم جمعه . وفى انسحابهم اطلق احدهم النار على احد حراس الامن فسقط قتيلًا فى الحال وفروا جميعا دون ان يחדش احدهم ...

لم تكذ التحقيقات تبدأ حتى فجعت المدينة الواحدة بتفجيرات فى عدة اماكن اودت بحياة عشرات الناس .... وقامت الدنيا ولم تقعد وامطرت مطرا غزيرا غزيرا هبط كالسيل فاغرق الشوارع واقتحم البيوت

..

لقد استهدفوا امان المدينة ... سكانها وزوارها ... اهلها والسائحين ... كان مصطفى حين يكون فى الاسكندرية لا يصطحب حراسه .. كان يشعر بامان فى بلدته كاكتر مايكون .. يشعر انه فى بيته .

لكنه فى تلك الليلة كان لتوه قد هبط من جناحة فى الفندق وكان قد لاحظ اضطرابا ما فى البهو فتوقف .. كانت تلك هى اللحظة التى اصيب فيها بطلق نارى حين اندفع اللصوص هارين

...

قامت الدنيا ايضا ولم تقعد لانه كان بين المصابين .. كان هو رجل الاعمال الملياردير الايطالى

...

مكث فى غيبوبة ليوم كامل . حين علمت دنيا زارته ومكثت بجواره فى غرفة العناية المركزة ولاول مرة منذ وفاة زوجها الذى مر عليه عامين بكت بحرقة وهى تنظر الى عينية المغلقتين التى كانت منذ عشرين عاما فقط تنظر اليها تكاد تحتويها حبا وحنانا . لم يعرف انها زارته لكنها رأت اخته فى بهو المستشفى . لاتدرى لماذا تورات عنها ولم تشأ ان تراها . هل حقا " انما يأسى على الحب النساء " .

حين زاره شعبان الحاوى كان قد افاق .. كان الطبيب جراح بارعا وكان لحسن حظة ان الرصاصة لم تكن فى مقتل خدشت احداها كتفة ومزقت الاخرى اوتار ذراعه . لم يكن مقدر له ان يموت فى هذا اليوم وكفى لم تكن الف رصاصة قادرة على ان تردية قتيلًا حين كتب له القدر ان يعيش .

طلب باشارة من يده ان يرى بطاقات باقات الورد التى وصلت اليه . راحت الممرضة الحسنة تقراها له حتى وصلت الى احداها بالايطالية فضحكت بدلال .. وقربتها من عينيه ليقرأها .لا احد هنا يتكلم الايطالية .. ! ابتسم بوهن ..

توقفت عيناه عند هذه البطاقة على بوكية من ورد " سلامتك يادرس .. D . " ... كان يمكن

للممرضة ان ترى بام عينها على تلك الشاشة التى تسجل نبض القلب ان ثمة نبضة قد علا ايقاعها رغم الالم ... رغم كل هذه الاجهزة حولة وصوت الازيز والصغير الخافت الا ان صوت قلبه كان اعلى يكاد يعلو هذه الاصوات التى أنست هذا الصمت المطبق ! لقد كانت هى . اشار الى الممرضة الحسنة فتوقفت على القراءة . وضعت البطاقات بجواره وانصرفت فى هدوء

...

إذا كانت هنا ....

اغمض عينيه واسلم اذنية لذلك الصوت الرتيب .. تيت ... تيت ..... تيت ..

رن رن رن ..... فى مكتب محافظ الثغر ... لقد كانت الاحداث عاصفة وجاءت التعليمات من القاهرة احيل مدير امن العاصمة الثانية الى التقاعد ...! ..... احيل المقدم طارق الى التقاعد ..

اصبحت دنيا تستأجر لاول مرة حارس امن شخصى لها . لانتحرك الى عملها واماكن نشاطاتها الا وهو معها ... تشعر انها فى خطر لاتدرى من اين ؟... احست ان ثمة خطر يهددها او قل احست بحاجة الى شىء يحميها تلجأ اليه .. نصحتها شخص ما بالحصول على جنسية اخرى تذكر ان احد هؤلاء فى نادى الروتارى نصحتها بذلك منذ سنوات ...

. تود لو تحصل على الجنسية الايطالية كمصطفى لكنها وجدت انه من الاسهل ان تسعى للحصول على جنسية الدولة التى اجرت لها السفارة لقد استطاعت بسهولة ان تحصل على جنسية هذه الدولة لقد رتب لها كل شىء فقط كان عليها ان تسافر لثلاثة ايام الى هناك فقط لتصبح من رعايا جلالة الملكة . كانت بلدا هادئا يتحدث معظم اهلها باللغة السويسرية الى جانب الفنلندية ... لن يلومها احد على انجليزيتها الركيكة هناك فثمة بضع لغات يتكلمها الناس هناك لايهتم احد بدقة وبلاغة التعبير ولا بالهجة واللكنه .. كانت بضع الكلمات التى تعلمتها بالسويسرية كافية !!

فى رحلتها الى ذلك البلد الاوروبى صدمها منظر الجليد الذى يكسو كل مكان لم تتخيل انها ستكره اللون الابيض لان اصبح الان سجنا باردا لا تقى الملابس الثقيلة لسعته ولاتدفع المواقد ولا اكواب النسكافيه .. كانت قد حصلت على اقامه لمدته شهرين لكنها بالطبع كانت قد خططت لبضع ايام فقط . وكانت قد قررت الى تصطحب ابنها . ستكون فرصة لتلطيف الاجواء بينها بعد ذلك الشجار الذى وقع بينهما حين ادرك الفتى ان امه كانت وراء ابعاد صديقه ... اليهودية ...

خرجت من غرفتها فى الفندق بضع مرات لكنها لم تستطع ان تصحبه الا فى مشوارها الى مبنى الهجرة والجنسية فى "هلسنكى". !! كان الفتى ساخطا ناقما ... وكان اشد مافعله بها انه تركها لتعود الى مصر وحيدة ... !

لقد ادركت انها فقدت ابنها .. احست بعجزها وغربتها ومرارة وحدتها ... احست انها قد ورات ابنها التراب بل قل الثلج والجليد البارد كما وارت ابيه منذ بضع شهور فقط .... ماذا فعلت به تلك اليهودية !! كانت تبكى وحيدة فى الطائرة التى لم يكن عليها وجه يتنى لبلدها .. لجنسيتها .

ليس ثمة من ينطق بالعربية .. .. كانت ثمة امراءة بجوارها قد اغمضت عينها واسترخت تستمع الى الموسيقى فى الهيدفون ..لم تحادثها ولم تلتفت اليها ..

فى طريقها من هلسنكى الى استراحة ترانزيت فى مطار روما.. كانت تنهال دموعها فى الطائرة . دموع حرى لم تبلل وجهها منذ واحد وعشرين عاما الا مرات قليلة ...

حين كانت الطائرة تعبر المتوسط كان ذلك اللون الازرق للمياه يطغى على كل شيء . . .  
يالها من رحلة طويلة تلك التى يعبر فيها الناس بين شاطئىء هذا البحر ..عبور من الجنوب الى  
الشمال وعبور من الشمال الى الجنوب وشتات بينهما ... عبور فى طائرة وعبور فى باخرة  
وعبور فى قارب

ماغرب الفارق بين حاجات العابرين ! .. مهاجر فر من مرارة الفقر والعجز . ومهاجر نهب  
اموال الناس وفر بها . عبور هربا من ملاحقة القانون . وعبور تحت سمع وبصر القانون .  
عبور لايتتهى على مر العصور ...على مر الازمان كانت المدينة مرفأ وملاذا للعابرين ونقطة  
انطلاق للراجلين عنها ...

لم تقرا فى التاريخ كثيرا .. لكنها تعلم ان الاسكندرية هى هذا المزيج الفريد من كل امم  
وشعوب المتوسط انها يونان الاسكندر اليونانى وروما كليوترا وانطونيو ... وهى لازاريتا  
ولاجيتيه الجالية الفرنسية والايطالية الاسكندرية زيزينيا وبولكلى ...محرم بيك وكوم الدكة  
....بحرى والمنشية ...

كل هذه الفسيفساء الجميلة التى شكلت وجه المدينة ... احست لأول مرة بشعور الغربة ...  
الغربة عن اجمل مكان عاشت فيه ايام عمرها الذى يحمله قطار سريع ...  
لقد عبرت مثل هؤلاء العابرين لتشتري امانا من غد مجهول .لتحصل على جنسية بلد لاتعرف  
عنه شيئا .لكنها فقدت امان وجود ابنها وفلذة كبدها ووحد عمرها ...  
لقد كانت تقول عن نفسها انها المرأة الحديدية .. لكن حتى الحديد يبكى .. ويتألم

-----  
كان قبيصى حارس الفيلا قد اسرع لى سماعه نداء البحرى . فدخل الى الصالة الفسيحة  
فهااله ما رأى . كانت جثة سعاد المكتزة ملقاة على الارض والدماء تغطى الارض حولها ..  
وكلمة البحرى " الحاجة وقعت من فوق " الحاجة وقعت من فوق " ...

. استرعى انتباه الطبيب الشرعى اثار الخدش على يديها ومحاولة نزع الخاتم الثمين فاوعد الى  
المصور ان يلتقط صورا عديدة لييد والخاتم كان الخاتم فى اصبعها قد ضاق ويبدو انه كان ثمة  
محاولة لنزعه .. ادرك المصور الخبير ان الخاتم ثروة واثرا فابلق ضابط المباحث ووكيل النيابة  
بذلك وانغمس فى التقاط صور اخرى من كل الزوايا . حتى حين تم استخراجة من يدها كحرز  
من احراز القضية

هذا الخاتم المرصع بكربات الماس بحجم كبير ! هو ذاته الذى حملق فيه الخواجة "مساك"  
الجواهرجى منذ سنوات بعيدة حين سألها عن المكان التى اشترته منه فقالت انها اشترته من  
جواهرجى فى كفر الدوار ... ضحك الرجل حينها فقد كان يعرف انها تكذب . كان الخاتم لاحد

افراد الاسرة المالكة العلوية احفاد محمد على كان عليها الحرف باللغة الانجليزية . انه تصميم  
وابداع احد دور المجوهرات المشهورة فى اوروا انذاك .

.سأله الضابط باحترام كبير وتقديرا لحالته النفسية بضع اسئلة فقط ثم سأل قبيصى الحارس  
ايضا .. ابلة ضابط المباحث انه لن يتم تشريح الجثة .. ثم ابلة تعازيه وشد على يده !!!  
وعند قفل المحضر وتسليمة مقتنيات القبلة .. سأله الضابط سؤالا عابرا بدا كانه لعلقة له  
بالقضية عن هذا الخاتم الرائع من اين اشترته المرحومة !!  
سكت برهة ثم اجاب : لاعرف .... الحاجة كانت تشتري وتبيع . وكان ... ثم سكت ثانية . قفرت  
الذكرى الى راسة كالعفريت ! ...

كان "مقتل زوجة البحيرى الثانية ..!" خبر لم تنشره الا تلك الصحيفة اليسارية التى تنتمى الى  
ذلك الحزب المعارض العتيق .. مازال للصحيفة قراؤها الذين يريدون ان يقرأوا شيئا مختلفا  
عن ذلك الذى تكتبه كل الصحف الاخرى .. كان خبر مقتل زوجة البحيرى الثانية حدث اقتنصته  
الصحيفة ...

امسك الصحفى بخيط رفيع وبع كلمات من هنا وهناك وبنى قصة ملاً بها صفحة كاملة ..  
كان من السهل على ضابط القسم ووكيل النيابة ان يدرك ان العلقه الساخنة التى تلقاها  
الصحفى كانت من رجال البحيرى ... الذين لم يكسروا عظما ولم يجرحوا لحما ... لكنه لم يجد  
دليلا فقيدت ضد مجهول ..

كان خبر مقتل زوجة البحيرى قد تورأى امام عدة حوادث تفجير فى بضع انحاء من المدينة  
الساحلية طالت احداها كنيسة وخلفت جميعها ضحايا واصابات فانقلبت الدنيا رأسا على عقب  
ثم اعقبها محاولة اغتيال لاحد القيادات الحزبية العريقة بعدها بعدة ايام ..  
ثم حملت الانباء خبر احالة اللواء طارق مدير امن العاصمة الثانية الى التقاعد .... لقد  
ضرب الارهاب العاصمة الثانية فى مقتل ...

-----

عاد مصطفى الى ايطاليا ومن هناك الى فرنسا ليجرى جراحة دقيقة اخرى بعد تلك التى  
اجراها فى مصر فمازالت يده اليسرى عصية على الحركة الطبيعية كانت رصاصات الارهاب قد  
مزقت ذراعة الايسر ولولا تدخلا جراحيا سريعا اجراه ذلك الجراح المصرى العالمى لما امكن  
له أن يامل فى استخدام ذراعة هذا مرة اخرى . لقد تعافى سريعا وماكاد يقوى على المشى  
حتى سافر . لقد رتب من مصر مع طبيبه هذا ليستكمل علاجه فى فرنسا وهاهو الان فى  
مرسيليا فى ذلك المركز الشهير لعلاج العظام والجراحات الدقيقة ليستكمل علاج ذراعه ..  
كانت اجمل مفاجاة يتلقاها هى زيارة ابنه الذى طار من افغانستان عبر رحلة مستحيلة ليزوره  
فى مستشفى العظام فى مدينة مرسيليا الساحلية .. قطعة منه يضمها الى صدره . عظامه

سلمت على بعضها . راح يتطلع الى فلذة كبدة الذى لم يكن قد راه منذ ثلاثة اشهر .. راح يتطلع الى وجهه الذى لوحتة الشمس وزينته لحية كثيفة ذكره بنفسه حين اطلق لحيته ذات مره فى مصر كان وقتها يسافر بين المحافظات فترك لحيته ! جلس الفتى على طرف السرير ودار حديث طويل بين الفتى وابيه بالعربية بلهجة الاسكندرية . حوار باسم ضاحك بين اب وابنه كأنما بين صديق وصديقه كان يقطعه احيانا سؤال او تعليق من كريستينا بالايطالية .. لقد جاءت كريستينا لتزوره فقط بعد ان علمت ان ابنها فى مرسيليا ... فلم يكن قد اخبرها انه تعرض لحادث اطلاق نار فى مصر . لم تستطع ان تخفى غضبها حينها .. لقد لامته على سفره لمصر ومكوته كل هذا الوقت فيها ... ..  
حين غادرت كريستينا وباجيو .. امسك بالتليفون وطلب رقما فى مصر ..  
تحدث طويلا لامه واحدى اخواته ..  
طلب رقما اخر مر وقت حتى رد الهاتف على الجانب الاخر ...  
- " دنيا " ...  
- " مصطفى " ...

-----

كان شيئا صعبا ومحبطا للواء " طارق " ان يجد نفسه فى يوم وليلة خارج الخدمه مغضوبا عليه من الجهات العليا . متهما بالتقصير والاهمال فى عمله وهو رجل مشهود بكفاءته وجهده .. لم يكن يتخيل انه فى تمام صحته وعافيته سيمكث فى بيته لايفعل شيئا سوى مشاهدة التلفاز او قراءة الجرائد ..  
كان على يقين ان شيئا ما سيحدث ويعود الى عمله .. لكن مرت الشهور واكتمل العام ولم يحدث شىء ...  
رفض الرجل باباء بعض عروض جائئه ليكون مدير امن لاحدى القرى السياحية واخرى لاحدى الشخصيات من كبار رجال الاعمال .. بل كان بعضها للعمل فى احدى دول الخليج .  
راح يجتر ذكرياته وفى لحظة تذكر نادرة الحدوث تذكر شيئا .لمعت فى ذهنه الصورة ودوى فى اذنيه الصوت . الصوت الذى سمعه منذ مايقرب من عشرين عاما هو ذاته الذى سمعه فى الميناء عند افتتاح العمل بالسفينة العبارة التى يملكها مصطفى البحيرى او زوجته لايهم ... هذه النبرة . هذا الصوت . تلك العيون .. هل يعقل ! راحت الصور تتبادل فى ذهنه ، تتشكل ، تتضح ..... وافرخ الشك الف سؤال يحتاج الى اجابة وشكوك تحتاج الى تأكيد .  
كان يحتاج الى ان يعرف . فعقل ضابط المباحث الذى فى داخله مازال يعمل بكل طاقته .. كان اول دفعته واكثرهم ذكاءا لقد استطاع ان يحل سر الكثير من الجرائم التى صادفته اثناء عمله ..وهو يذكر تلك القضية جيدا حين كان يعمل فى الاسكندرية حادث مقتل ذلك الرجل المصرى الذى يحمل جنسية خليجية والتى قيدها ضد مجهول .. تداعت الصور من بعيد عبر عشرين عاما باهتة ضبابية كليل ذلك الشتاء الذى حدث فيه .. هل يعقل ان يكون !!؟

رفع سماعة التليفون فى بيته واجرى اتصالا ...

يتبع-----